الثابت الأول

عـربـيـة الـعـــراق[1]

يخطئ من يظن أنّ "عربية العراق" صفة طارئة، أو أنها مجرد لون أو ثوب مستعار يستطيع العراقيون أن يرتدوه، أو يخلعوه متى شاءوا؛ لأنّها صفة أو صبغة طرأت عليه - بحسب ظن هؤلاء المخطئين - بعد الفتح الإسلامىّ أو بعد بروز عصر القوميات؛ فالتاريخ يخبرنا أنّ الهجرات العربيّة من جزيرة العرب إلى العراق بعمقه، قد بدأت قبل ميلاد المسيح - عليه السلام - ببضعة آلاف من السنين. وكانت الهجرة الثانية ٢٥٠٠ قبل الميلاد، وهؤلاء العرب الذين استقر بهم المقام فى أعماق العراق هم الذين شادوا أعظم الحضارات فى "العهد الأكدىّ" ثم "البابلىّ" ثم "الآشورى". وتعد الهجرات التى سبقت

(١) لا يحمل القول بهذا الثابت أى دعم لعنصرية أو تعصب من بعض الفئات للعرب أو لأية قومية. إذ إن هذه المشاعر السلبية نشأت بعد عصر القوميات، ثم ظهور الدول القومية، وإثارة مشاعر الانفصال والتمايز أو الأفضلية لقوم على آخرين، فنحن هنا لا نريد به أكثر من تقرير حقيقة واقعة، كمن يحمل اسمًا ولا يمكن ولا يحق لمن حمل اسمًا ما أن يجعل من مجرد حمله لذلك الاسم ميزة يستحق بها أن يتعالى على الآخرين، فإذا كانت عربية العراق على مستوى الواقع التاريخى والمعاصر ثابتًا من ثوابته فإن وجود الأكراد التاريخى والحاضر واقع كذلك. وكذلك بالنسبة للأعراق الأخرى، ولذلك فإننى أؤكد أن لا يؤخذ هذا الأمر مأخذًا غير ملائم، وألا يساء فهمه وعربية العربى مسئولية أكثر منها ميزة فليفهم ذلك.

الفتح الإسلامى بقليل أو صحبته، أو جاءت بعده بقليل هى الهجرات العربيّة الأخيرة. حيث انتشر الإسلام فى كل أرجاء العراق، وتم تجديد اللغة العربية فيه وفقًا لما برزت عليه عند نزول القرآن الكريم، واتضح أثر القرآن المجيد فى تطوير اللسان العربىّ، مما كان له أكبر الأثر - بعد ذلك - فى نشأة مدرستى الكوفة والبصرة النحويتين فيما بعد، إضافة إلى وجود "مدرسة الكتاتيب العربية" فى الكوفة والحيرة قبل الإسلام (١).

لذلك فإنّ "عربية العراق" ما كانت ولم تكن قضية طارئة أو صفة عرضيّة لاحقة. فهى صفة لازمة وجوهرية. وعربيّة العراق لا تعنى ولا تسمح ولا تتسع بأى حال لأىّ مضمون عرقىّ أو عنصرىّ، بل هى مضمون فكرىّ ثقافىّ حضارىّ يشتمل عليه لسان خالد خلَّده القرآن المجيد، وسيبقى القرآن واللسان العربى وعربيّة أهل ذلك اللسان أمورًا متلازمة لا تنفك ولا تنفصل حتى يوم الدين.

ولم يفقد العراق عربيّته، ولم ينسلخ منها لا فى حرب ولا سلم، ولا فى حالات السيادة والاستقلال ولا فى حالات الغزو والاحتلال.

فعندما سقطت بابل تحت حكم الفرس وأصبحت بلاد بابل وآشور - أى العراق - جزءًا من الإمبراطوريَّة الفارسيَّة، وهيمنت الدولة الساسانية على تلك الإمبراطورية كانت بلاد الرافدين قسمًا مهمًا منها بجذورها وثقافتها ولغتها. ولقد شاد الساسانيُّون عاصمة ملكهم الشتويَّة فى المدائن التى كانت تسمى (توسفون)(٢) وتقع قريبًا من بغداد العاصمة الحالية للعراق وتسمى

(١) راجع "تاريخ العرب القديم" نبيل عاقل، ص ٢٠٢، ط٣، ١٩٨٣م

(٢) توسفون: وتسميها بعض المصادر "طيسفون" عاصمة ساپور ذى الأكتاف الفارسى، وهى إحدى المدن التى تتألف منها "المدائن"، وقد اختلف فيمن أسسها وبناها من =

حاليًا بـ "سلمان باك" نسبة إلى الصحابى الجليل سلمان الفارسىّ الذى له مسجد وضريح يزار هناك. وكانت منطقة "الحيرة"[1] فى الجنوب - آنذاك - يقطنها نصارى عرب هم بنو تنوخ، وعرف ملوكهم بـ "اللخميين"[2] وكانوا يدينون بالطاعة لملوك الفرس وسيطرتهم، ومن أشهر ملوكهم النعمان صاحب قصر الخورنق (٤٠٠م) والمنذر الثالث (٥٥٠-٥٥٤) والذى عُرف لدى العرب باسم (ماء السماء) وولده عمرو بن هند وولد النعمان الثالث (٥٨٠-٦٠٢) وأشعر شعراء بلاطه كان الشاعر العربى المشهور النابغة الذبيانى[3] تلك كانت حالة العراق بصورة عامة. أثناء الهيمنة الفارسية الساسانية: لم يفقد

= ملوك الساسانيين، وسقطت بأيدى المسلمين فى الفتوح الأولى، وقد ذكرها ياقوت الحموى فى معجم البلدان وهى تعرف "بالمدائن" ٧/ ٤١٣-٤١٤، وانظر أيضًا: جواد على "المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام" ٢/ ٦٣٥.

(١) الحيرة: مدينة كانت على بعد ثلاثة أميال من الكوفة، يرى ياقوت الحموى أنها كانت على موضع يقال له النجف حاليًا، وقد زعموا أن بحر فارس كان يتصل به وبالحيرة وبالقرب منها مما يلى الشرق على نحو ميل، وقد كانت الحيرة مسكن ملوك العرب فى الجاهلية فى زمن نصر ثم زمن لخم بن النعمان وآبائه.

(٢) اللخميون: نسبة إلى عمرو بن عدى بن نصر اللخمى فى الجاهلية، وهو حى كان يسكنه ملوك العرب فى الجاهلية، وملوك لخم كانوا قد نزلوا الحيرة وهم آل المنذر، والنسبة إلى ذلك لخمى. واللخم فى اللغة هو اللطم، والإنسان ثقيل النفس. راجع تاج العروس، باب الميم فصل اللام، وكذلك محيط المحيط ص ٨١٢.

(٣) النابغة الذبيانى (نحو ١٨ ق هـ - ٦٠٤ م) هو زياد بن معاوية بن ضباب الذبيانى، شاعر جاهلى من الطبقة الأولى من أهل الحجاز، كانت تضرب له قبة من جلد أحمر بسوق عكاظ فيقصده الشعراء فتعرض عليه أشعارهم، وهو أحد الأشراف فى الجاهلية وكان المفضل عند النعمان بن المنذر، حتى شبب فى قصيدة له بالمتجردة "زوجة النعمان" فغضب عليه، ففرّ النابغة إلى الغسانيين بالشام، وغاب زمنًا، ثم رضى عنه النعمان فعاد إليه.

العراق لغته العربية ولا هُوِيَّته حتى فى ظل احتلال مستمر كالاحتلال الفارسىّ الطويل[1].

وحدة العراق فرع عن عربيَّته:

أما عن "وحدة العراق" وتماسك أرضه وشعبه فإنّ التاريخ يُكذب الأصوات التى تعالت منذ تحرير الكويت وتحديد المناطق المحمية وازدياد ضجيجها بعد سقوط "العصابة الحاكمة للعراق" بقيادة صدام: أن العراق -بحدودية الحالية - هو تركيب طارئ من مجموعة ولايات عثمانيّة تم تجميعها ودمجها وتوحيدها قسراً بجهود المستعمر البريطانى؛ لأن ذلك التجميع كان فى صالحه أو محققًا لمآربه، وعلى ذلك فالعراق بحدوده الحالية عراق مفتعل ومصنوع، و "وحدته الوطنيّة" القائمة بين هذه الولايات طارئة مفتعلة، ومن هنا فإن تفكيكها وتقسيمها على القوميّات والطوائف بمساعدة المحتل أو المحرّر الجديد يصبح أمراً مشروعًا ومقبولاً، بل قد يعتبره البعض عودة إلى الأصل الذى كان، أو قد يكون من المفيد أن يشجع البعض عليه، وتنطلق الدعوات إليه، وقد يعتبر السيد الجديد (المحتل) متفضلاً باقتراحه وتنفيذه. والحق أنَّ هذا خطأ معرفىّ فاحش فى التاريخ والجغرافيا والسياسة والدين، وخطأ فى حق

(١) حكم الساسانيون بلاد الرافدين طيلة الحقبة التى بدأت باستيلاء "أردشير" على الحكم منتزعًا العرش من الفرثيين وحتى تحرير العراق على يد جيوش العرب المسلمة، واعتبر ذلك إعادة طبيعية للعراق إلى أحضان شبه الجزيرة العربية، وقد كان احتلال "أردشير" لبلاد الرافدين قد بدأ عام ٢٢٤ م. راجع: المجمع العلمى العراقى، العراق فى التاريخ، بغداد، دار الحرية، ١٩٨٣م، ص ٢٥٩-٢٦٢. ويذهب "جواد على" صاحب "المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام" إلى أن صلة العرب الفعلية بالعراق بدأت فى عهد الملك "ترام سن ٢٢٧٠-٢٢٢٣ ق. م" وأنه قد استولى على الأرض المتصلة ببلاد بابل، ويرجح "جواد على" أن هذا أقدم خبر تاريخى يحدد صلة العرب بالعراق. راجع "المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام" ١/ ٥٧٣.

العراق وشعبه بكل فصائله، وذلك أنّ ما عرف تاريخيّا باسم العراق كان أوسع بكثير من حدود عراق ما قبل (١٩٥٨م) وما قبل ثورة العشرين؛ فالعراق تاريخيّا كان يطلق على منطقتين واسعتين: منطقة "بلاد ما بين النهرين" ومنطقة الجبال الشمالية، وقد أسس الأكديُّون ذوو الجذور العربيّة دولة عالمية فى حدود سنة ٢٣٦٠ قبل الميلاد. وكانت حدود الدولة الأكدية مفتوحة فضمت البلاد منذ ذلك التاريخ أو قبله بألف عام موجات من الهجرات العربية التى ساهمت فى تأسيس الدولة العالمية. هذه الهجرات كانت تتدفق من شمال الجزيرة العربية إلى الجنوب على امتداد نهر الفرات، ومن الغرب إلى الشرق عبر شمال بلاد ما بين النهرين، ثم إلى الجنوب على امتداد نهر دجلة، وقد استقر المهاجرون فى الأصقاع الشمالية أول الأمر حتى إذا اكتظت وازدحمت بمن فيها أخذت الموجات التالية تتجه إلى المناطق الوسطى ثم الجنوبيّة. وتلك الهجرات كانت تأتى بشكل سلمى، وتمتزج بذرارى الموجات السابقة، وبخلائف السومريّين أبناء البلاد الأصليّين الذين لا تتوافر وثائق كافية لتوضيح جذورهم وتاريخهم، وإن كنت أميل إلى أنّهم لا يختلفون كثيراً عن الأكديّين. فالأكديّون لم ينشأوا من فراغ، ولكن لقلة الوثائق المؤكدة لصلتهم بالجزيرة العربية وقبائلها وألسنة ولهجات تلك القبائل اعتبرنا بداية "عربيّة العراق" الحقيقيَّة من الأكديّين(١).

(١) الأكديون: أشهر ملوكهم سرجون الأكدى الذى أقام إمبراطورية واسعة الأرجاء فى وادى الرافدين عرفت بـ "الإمبراطورية الأكدية" نسبة إلى مدينة "أكد" التى اتخذها عاصمة له. وهم من قبائل الجزيرة العربية التى استوطنت بلاد الرافدين منذ ما قبل الألف الرابع قبل الميلاد، وقد عايشوا السومريين وتفاعلوا معهم إلى أن استولوا على دفة الحكم وأقاموا دولتهم، وبعد ذلك انصهرت فيهم العناصر السومرية والأمورية. راجع العراق فى التاريخ، ص٧٢.

إنّ الأكديين بقيادة "سرجون ٢٣٤٠-٢٢٨٤ ق.م" كانوا أول من نادى بتوحيد الجنس البشرىّ وتحقيق السلام والازدهار للأرض - كلها - ونادوا بنشر الثقافة والحضارة بين البشر، وإقامة العدل والقانون.

وحين أضعفت غزوات الكوتيين الدولة الأكديّة وأدت إلى تمزيقها استطاع "العموريون" أو "الأموريون" (٢٠٠٠-١٤٠٠ ق.م) وهم الذين كانوا يتكلمون اللّغة الأكدية وينتمون إلى ذات الأصول العربية - أن يعيدوا تأسيس دولة "سرجون العالمية" واتخذوا من "بابل" عاصمة لها، واستمروا كذلك إلى أن آل الأمر إلى "حمورابى ١٧٥٠-١٧٩٠ ق.م" "صاحب القوانين المشهورة». وقد كان العراق فى ظل الأكديين ومن بعدهم العموريين سيد المنطقة لقرون طويلة، حيث كان العراق - آنذاك - يضم بالإضافة إلى حدوده التى استقرت بعد ثورة العشرين، سوريا ولبنان وفلسطين والأردن والأناضول. وحمورابى الذى سن القوانين المعروفة التى كان يعتقد أن إله العدالة - إله الشمس - وجّهَهُ لضم أركان العالم الأربعة تحت سيطرته، وأن الإله "مردوخ" وهو كبير الآلهة فى "مجمع الآلهة البابليِّين" قد كلفَّه بهداية الناس إلى طريق الحق وتوحيد البلاد وإقامة القانون والعدالة فى الأرض وتعزيز رفاهية البشر(١).

وحين قامت الدولة "الآشوريّة" (٢) من القرن الرابع عشر حتى سقوط "نينوى" عام (٦١٢) قبل الميلاد حافظت على اللغة ذات الجذور العربية

(١) راجع الهامش السابق، وقد حكم حمورابى أو عمورابى - كما يسميه بعضهم - اثنتين وأربعين سنة من سنة ١٧٩٣ ق م - ١٧٥١ ق م، وقد وحد العراق - كله- تحت قيادته وضمن حدودًا آمنة له. راجع العراق فى التاريخ، مرجع سابق، ص٩٤.

(٢) لقد تزامن وجود العرب فى الحيرة مع وجودهم فى الأنبار منذ عهود الساسانيين. لمزيد من التفصيل راجع: المفصل، مرجع سابق، ٣/ ١٥٥.

والثقافة والتراث الأكدى العربى والدين والحضارة والرسالة والقوانين دون تغيير كبير. وأعلنت أنها امتداد للدولة البابلية وآلهتها، وحققت السيادة على جهات الأرض الأربع وأخضعت مصر - من بين ما أخضعته من بلدان - لسلطانها (١).

وقد استمرت بلاد ما بين النهرين فى عطائها للعالم فأعطته الخط المسمارىّ، واللّغة الأكديّة الحضاريَّة وتراثها الأدبىّ. وحين نتتبَّع سائر الدول والحضارات التى قامت فى وادى الرافدين، أو بلاد ما بين النهرين نجد حدود تلك الدول - كلها - ومنذ تسعة آلاف عام تمتد لتشمل السهل والجبل، وأن ذلك الشعب هو نفسه شعب واحد سواء أولئك الذين كانوا يقطنون السهول أو الذين كانوا يقطنون الجبال، وكذلك حين تم فتح المسلمين للعراق كانوا يطلقون على السهل أو الوادى الذى يشمل الوسط والجنوب وشيئًا من الجنوب الغربى "عراق العرب"، ويطلقون على المنطقة الجبلية "عراق العجم" كعادتهم إذا أرادوا مزيدًا من التعريف، وبعض المؤرخين الذين لاحظوا آثار الحضارة "الأكدية" المشتركة أطلقوا على سكان المناطق الجبلية من العراق "عرب الجبال" (٢) فكان هناك عرب السهول وأرض السواد وعرب الجبال. وذلك

---

(١) الآشوريون: ينتمون للأصول نفسها وإلى الشجرة ذاتها التى تفرع عنها الأكديون والبابليون والأموريون والعرب ولغتهم، وهم الأقوام الذين استوطنوا العراق منذ مطلع الألف الرابع، وكان منبت تلك الشجرة الأولى فى شبه الجزيرة العربية مهد الأقوام الجزريين، ولهجتهم كانت إحدى لهجات اللغة الأكدية، واستخدموا الخط المسمارى أيضًا. راجع العراق فى التاريخ، مرجع سابق، ص ١١٩.

(٢) هذه الدعوة ذكرها بعض الباحثين القوميين الذين أبدوا ميلاً لإنكار وجود قومية أخرى فى العراق بحجم القومية الكردية، وهو أمر لا يقبل، والاستدلال عليه بأن الأكراد =

يدل - بوضوح - على أنّ العراق لم يفقد وحدته منذ آلاف السنين إلا ضحية احتلال أو تغلغل خارجي فيه أو تقسيم مفتعل. وأن ما حدث له من تقسيمات إدارية نتيجة صراع السلاچقة والبُوَيْهِيِّين ثم العثمانيّين والصفويّين [1]. وآثار

= يسكنون هذه المنطقة منذ ما قبل التاريخ، وأن الهجرات العربية الأولى التى جاءت قبل نهايات العهد السومرى انقسمت إلى مجموعات بعضها سكنت السهل وأخرى سكنت الجبل، ولكنهم جميعًا ينتمون إلى السامية، وقد يسند بعضهم دعواه هذه بأسماء القبائل الكردية، ومحاولة إعادتها إلى جذور عربية مثل إعادة قبيلة مازورى الكردية إلى قبيلة مضر العربية وما إلى ذلك، ولكن الناس مؤتمنون على أنسابهم. ومهما يكن فالأكراد العراقيون جزءٌ من النسيج والخارطة الاجتماعية العراقية، ومن الضرورى أن يتذكر العرب والأكراد فى العراق ما بينهم من وشائج القربى، وما للكردى عليهم من أياد بيضاء فى خدمة الإسلام والعروبة، فليس هناك مسلم يستطيع أن ينسى صلاح الدينّ وما قدمه للأمة كلها، وكذلك شيخ الإسلام ابن تيمية، وفى العصر الحديث أمير الشعراء أحمد شوقى وجميل صدقى الزهاوى ومعروف الرصافى وغيرهم. فالقاعدة التى ينبغى أن تحكم فى علاقات العرب والكرد هى قوله تعالى: ﴿ولا تنسوا الفضل بينكم﴾.

(١) **السلاچقة**: تسلط السلاچقة بتشجيع من الخليفة فى بغداد الذى استنصر بهم على البويهيين، وقد دخلها القائد السلچوقى من سنة ٤٤٧ هـ واستمر حكمهم حتى بدايات القرن السادس، حيث تمكن الخليفة العباسى من الاستفادة من خلافاتهم وخلافات أمرائهم فأمر بإيقاف الدعاء للسلطان السلچوقى عام ٥١٢ هـ، وقد انتهى حكمهم تمامًا ٥٨٢ هـ فى كل من العراق وإيران. العراق فى التاريخ، مرجع سابق، ص ٤٤٤-٤٤٩.
البويهيون: هم الفرس الديلم المنسوبون إلى "بويه" الذى كان يعمل حمالاً فى تلك المنطقة، من بحر قزوين، وحين رأى "بويه" ضعف سيطرة خليفة بغداد على تلك الأقاليم قاد الفلاحين فى منطقته فى حملة سيطر فيها على جبال الديلم ووسع سلطانه حتى شمل الهضبة الإيرانية كلها. وبعد وفاته خلفه أولاده الثلاثة فى سلطانه، ولما رأوا ضعف خليفة بغداد واسترخاء قبضته عليها قاد معز الدولة جيشًا نحو بغداد فاستولى عليها وأخذ مقاليد السلطة السياسية، ولم يبق للخليفة إلا السيادة الاسمية وسلطة إدارية محدودة. ولقد استمر تسلط البويهيين على العراق من فترة معز الدولة فى حدود سنة (٣٢٠-٤٤٧هـ/ ٩٣٢-١٠٥٥م). راجع: العراق فى التاريخ ص ٤٣٩-٤٤٤. =

صراع الدولتين خاصة العثمانية والصفوية عليه أو على أجزاء منه، وتداولهما التسلط عليه لمرات عديدة، لم يمثل ذلك كله وضعاً عادياً أو طبيعياً يمكن أن يسمح بادعاء أن العراق لم يكن سوى ولايات عثمانية ثلاث أو أربع وحَّدها الإنجليز فلا بأس من تفكيكها وتوزيعها وتفريقها من جديد، فلا التاريخ يؤيد تلك الدعوى ولا الجغرافيا ولا الدين ولا الثقافة ولا المصالح.

= **العثمانيون**: فى عهد السلطان سليم الذى حكم من ١٥١٢ - ١٥٢٠ اتجه العثمانيون إلى الشرق للاستيلاء على البلاد العربية ليبسطوا سلطتهم من خلال ذلك على الأمة الإسلامية - كلها - فدخلوا العراق وجعلوا منه ميدانًا للصراع مع الصفويين والسلالات الحاكمة فى إيران، وقد استمر الصراع بين الصفويين والعثمانيين فى الساحة العراقية حتى نهاية القرن التاسع عشر. وكانت آثاره على المجتمع العراقى فى غاية الخطورة. وقد دخل الصدر الأعظم بغداد فى ٢٤ جمادى الثانية ٩٤١ هـ الموافق ٣١ نوفمبر ١٥٣٤م، وبعد يومين دخلها السلطان العثمانى سليمان الذى عرف باحترامه للأماكن المحترمة لدى كل الطوائف، وحاول إنصاف المظلومين وتوحيد الشعب من جديد. وقد تبنى الصفويون المذهب الشيعى فى حين تبنى العثمانيون المذهب السنى والفقه الحنفى، وقد سببت سنوات الاحتلال الصفوى والاسترداد العثمانى الكثير من الخراب والدمار فى النفسية العراقية إضافة إلى الآثار الاقتصادية السيئة التى أصابت الزراعة والصناعة والتجارة وكذلك انتشار الأوبئة والقلق الفكرى والثقافى. وقد كان الصفويون ينتهكون حرمة ضريح الإمام أبى حنيفة، مما دفع العثمانيين فى مرحلة من مراحل سيطرتهم على العراق إلى نقل مجموعة كبيرة من عشائر العبيد السنية للسكن فى الأعظمية لحماية ضريح أبى حنيفة من اعتداء الصفويين.

الصفويون: ينتمون إلى أسرة تركمانية صوفية تنتسب إلى الشيخ صفى الدين (ت ١٣٣٤م) الذى تبنى المذهب الشيعى، والذى امتد نفوذ طريقته بحيث تمكن أتباعه بعد فترة من السيطرة على إيران - كلها - وفى عشرين من جمادى الثانية ٩١٤ هـ فتح الشاه إسماعيل الصفوى الذى آلت إليه قيادة الصفويين بغداد. ومارس فيها الكثير من المذابح ما ذكرها بمذابح المغول، وقد أبدى اهتمامًا خاصًا بالعتبات المقدسة ومراقد آل البيت، وخرب المراقد الأخرى مثل قبر الإمام أبى حنيفة فى محاولة منه لإثارة الفرقة بين أبناء العراق ولتحقيق مزيد من الهيمنة عليهم والتمكن منهم.

استمرار عربيّة العراق دون انقطاع:

أما "عربية العراق" أو عروبته لغة وثقافة وجذوراً فهى أصيلة ضاربة فى القدم، تمتد - كما ذكرنا - إلى ما يقرب من أربعة آلاف سنة أو تزيد، وأسماء قبائله وأفخاذها ما تزال محفوظة، ولعل النهب الذى حدث للمتاحف والآثار مثل الذى حدث فى الغزو المغولى الأول أريد به تحطيم تلك الذاكرة التاريخيَّة، وإتلاف وثائقها تخلصًا من آثارها وتأثيراتها وإمعانًا فى قطع العراقىّ عن جذوره العريقة وتاريخه ليسهل استلابه وتغريبه، فعربية القرآن لم تنقطع، ولم تغب عنه فى أية مرحلة من مراحل تاريخه.

العراق والفتح الإسلامى وتميز التيارات الفكرية[1]:

فى العهد الإسلامى بعد الفتح أمر الخليفة الراشد الثانى عمر بن الخطاب -رضى الله عنه - عتبة بن غزوان بتأسيس مدينة "البصرة" لتكون قاعدة إسلامية على الضفة الغربية من شط العرب، وذلك سنة (١٦) للهجرة، وفى عام (١٧هـ) أمر الخليفة نفسه سعد بن أبى وقاص بتأسيس مدينة "الكوفة". وقد استقر فى المصرين - بعد ذلك - العديد من الصحابة والتابعين، واتخذ أمير المؤمنين علىٌّ - رضى الله عنه وأرضاه - مدينة الكوفة عاصمة له، وبعد استشهاده فيها بقى الحسن - سلام الله عليه - فيها فترة الأشهر الستة من خلافته إلى أن قرر التنازل المشروط لمعاوية على أن يعيد معاوية الأمر إلى الأمة بعده، وهو الشرط الذى لم ينفذه معاوية فمنح ولاية العهد لولده يزيد، وجعلها

---

(١) الفتح الإسلامى للعراق وأسلمته وإحياء عربيته وتفاصيل ذلك لا يخلو منها كتاب من كتب التاريخ التى تناولت فتوحات المسلمين، وكذلك الكتب والدراسات التى اهتمت بتاريخ العراق.

"كسروية هرقلية" خلافًا للاتفاق من ناحية، وخلافًا لمبادئ الشورى والرضا والبيعة وسائر المبادئ والشروط التى أرسى الإسلام دعائمها لتحقيق أهداف الأمة فى تنظيم حكمها.

وقد كانت إدارة العراق - فى تلك الفترة - قسمة بين واليين يلقب كل منهما بـ "الأمير"، أحدهما يقيم فى الكوفة، والآخر يقيم فى البصرة، وكان الأميران يتوليان إدارة العراق - كما هو فى حدوده الجغرافية اليوم وزيادة، فكان والى البصرة وأميرها يدير المناطق الجنوبية من العراق مضافًا إليها الأحواز وفارس وكرمان وسجستان ومكران وخراسان. أما أمير الكوفة فيشمل سلطانه أواسط العراق وشماله، إضافة إلى الأقاليم الشمالية من الهضبة الإيرانية بما فيها همدان وقزوين والرى وأصفهان (١).

ولمزيد من إيضاح وتدعيم هذا الثابت من الثوابت العراقيّة وهو ثابت "عربيَّة العراق ووحدته" واستمرار ذلك لآلاف السنين لا بد من دراسة حضارات وادى الرافدين قبل الفتح الإسلامى - الذى نعتبره إحياءً وتجديدًا لعربيّة العراق كما هو أسلمة له صار يعزى إليه فى العراق، وما آل إليه فى ظل الإسلام من وحدة وتقدم وازدهار وعمران (٢).

إنّ العراق - لأسباب كثيرة - احتفظ بالكثير من المزايا والخصائص التى ميزته عن الأقاليم الأخرى للدولة الإسلامية، فهو مركز الحضارات القديمة

---

(١) لمزيد من التفاصيل راجع الفصل الثانى "إدارة العراق" من كتاب "العراق فى التاريخ" ص ٣٢١-٣٤٠ مرجع سابق.

(٢) لمزيد من التفاصيل راجع: أطلس الحضارة الإسلامية للشهيدين إسماعيل الفاروقى، ولمياء الفاروقى، رحمهما الله، الطبعة العربية، ص ٦٥-٨٠، وكذلك كتاب العراق فى التاريخ، مرجع سابق.

التى ترجع جذورها إلى آلاف السنين، وله من الصلات والوشائج بالعرب وبالجزيرة العربية وغيرها ما ليس للأقاليم الأخرى، واستيطان المئات من الصحابة وقادة الفكر والرأى فى مصْريه العظيمين بعد الفتح الإسلامى - الكوفة والبصرة - أضافت إلى مزاياه مزايا أخرى، فليس بمستغرب- بعد ذلك - أن تنشط فيه التيارات الفكرية والسياسية التى غذتها الأحداث الكبرى المشار إليها. ولذلك بدأت فيه بدايات الفكر الفلسفى الإسلامى، ومعها بدأت تظهر الفرق والتيارات الفكرية المختلفة التى كان معظمها مزيجًا من الدين فى أكمل صوره، والعلم والعقل فى أبهى مظاهرهما. وكان التنوع والتعدد من أهم مزاياه [1]، وقد اشتمل الأدب والتراث العراقيان على تراث ضخم متنوع فى قضايا احترام المخالف فى الرأى أو المعتقد أو الانتماء مما يحتاج إلى إحياء ليستفيد به العراقيون ومن سواهم، وفى العراق تبلورت آداب الحوار والجدل والمناظرة والاختلافات باعتبارها وسائل لجعل التنوع والاختلاف مصادر قوة لا مصادر ضعف.

---

(١) لمعرفة أهم الفرق والمذاهب والتيارات الفكرية التى نشأت فى العراق يمكن أن نجد بعضه فى الفصل الرابع من كتاب "العراق فى التاريخ" مرجع سابق، ص ٣٥٣-٣٥٦، وكذلك كتاب الدكتور على سامى النشار «نشأة الفكر الفلسفى فى الإسلام»، و«تاريخ المذاهب الإسلامية» لمحمد أبو زهرة.